Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ح) التندر والتهكم:

من الأدباء من كان يراوح في رسائله بين الجد والهزل، ليدفع الملل والسآمة عن القارىء أو السامع، وهذا مذهب نفسي سديد، أخذ الجاحظ به نفسه في بعض رسائله فإذا زعم الفقهاء أن الحجر الأسود كان أبيض فسودته سيئات الفاسقين قال ولم لم تبيضه حسنات الصالحين؟ وإذا قرءوا قوله تعالى ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلاً﴾ بالفصل هكذا «سل سبيلا» يعنون بذلك سل سبيلاً إليها يا محمد، قال: وما موضع كلمة «تسمى»؟

أتاه يوماً أحد الثقلاء وقال له: سمعت أن لك ألف جواب مسكت، فعلمني منها فقال: نعم. قال الرجل: إذا قال لي شخص يا زوج القحبة؛ يا ثقيل الروح فأي شيء أقول له؟ قال:قل له صدقت.

على أن رسالة التربيع والتدوير- والكتاب يقرأ من عنوانه - كلها سخرية وتندر بأحمد بن عبد الوهاب الذي كان قصيراً مفرطاً في القصر. جعد الأصابع. كبير السجن، مربع الجسم ومع هذا يدعى السباطة والرشاقة... وكذلك كتاب البخلاء كله تندر ببخل أهل خراسان كما سنرى.

ومن ذلك اللون أيضاً تندر الخوازمي بحديقته الضيقة يقول: (طولها باع وعرضها ذراع. أعني باع البقة وذراع الذرَّة، وأقل من «لا» وأصغر من الجزء الذي لا يتجزأ، لو طارت عليها ذبابة لغطتها، أو دخلتها نملة لسدتها، تسقى بالمسعط صباحا، وتنكث بالخلال مساء. أشجارها مائة إلا تسعة وتسعين، وأنهارها خمسون إلا تسعة وأربعين)[1].

ومن طرائف الأدب كذلك ما رووا عن السيدة زبيدة- أم الأمين حينما مات لها قرد صغير مستأنس، وأصابها من الغم ما عرفه الصغير والكبير، فقد قصد إضحاكها أبو هرون العبدي برسالته إليها، التي كتب فيها: «أيتها السيدة الخطيرة. إن موقع الخطب بذهاب الصُغير المعجب كموقع السرور بنيل الكثير المفرح، ومن جهل قدر التعزية عن التافه الخفي عمي عن التهنئة بالجليل

---

(١) زهر الآداب جـ ٢٩٧/٣